

**واقع ورهانات السوسولوجيا في العالم العربي:****رؤية تحليلية**

د. حسان تريكي، جامعة الشاذلي بن جديد بالطارف - الجزائر

البريد الإلكتروني: hacenetriki@gmail.com

**ملخص:**

في ظل التحولات العميقة التي يشهدها الوطن العربي والتحديات الكبيرة التي تواجه الدول العربية، تبرز الحاجة للاستعانة بعلم اجتماع عربي لتشخيص وفهم الواقع الاجتماعي وكشف حقيقته، ومن ثم توجيه اهتمام القائمين على التخطيط التنموي لوضع البرامج والخطط المناسبة لتنمية وتطوير المجتمعات العربية، إلا أن مؤشرات الواقع تشير إلى عجز البحث السوسولوجي عن تقديم تفسير للعديد من الظواهر المستجدة في المجتمع العربي، وفهم الظروف الجديدة التي أوجدها التقدم العلمي والتقني وتشخيص التحديات الناشئة عنه. انطلاقاً من ذلك، تهدف هذه الورقة البحثية، إلى تشخيص الوضعية المتردية لعلم الاجتماع في الوطن العربي، وكذا تقديم رؤية مقترحة للنهوض بالبحث السوسولوجي والوصول به إلى المستوى المنشود.

**الكلمات المفتاحية:** الممارسة السوسولوجية، علم اجتماع، البحث الاجتماعي.

**Reality and challenges of sociology in the Arab world :  
analytical vision****Abstract :**

In light of the profound changes taking place in the Arab world and the challenges facing the Arab countries, it is necessary to use an Arab sociology for diagnosis and understanding of social reality and Unveil its truth, and then draw attention of those responsible for development planning for the development of appropriate programs and plans for the development of Arab societies. But concrete indicators show a failure of sociological research to provide an explanation of many phenomena emerging in Arab society and understanding the new conditions created by the scientific and technical progress and the diagnosis of the challenges arising from it. On this basis, this paper aims to diagnose the poor state of sociology in the Arab world, as well as the presentation of a proposed vision for the advancement of sociological research and bring it to the desired level.

**Keywords:** Sociological practice, sociology, social search.

## مقدمة

إن فتح النقاش وتدارس أوضاع علم الاجتماع من طرف أهل الاختصاص، يعد من المسائل الهامة، التي تطرح نفسها بإلحاح في الوقت الحاضر، فالوضعية المركبة والمتأزمة للسوسيولوجيا اليوم على مستوى الجامعة والمجتمع، تدفعنا للبحث عن الأسباب والعوامل الكامنة وراء ذلك، وكذا رصد وكشف العقبات والاختلالات التي تحول دون حضورها الفعلي في المجتمع ومساهمتها الجادة في التأثير الإيجابي في التحولات الجارية فيه. فضلا عن ذلك فإن أية محاولة للنهوض بالممارسة السوسيولوجية في العالم العربي، لا يتحقق إلا من خلال تقويم علمي وموضوعي لها، يبدأ بتشخيص دقيق للواقع، وينتهي بإقتراح الآليات الكفيلة للإرتقاء بها إلى المستوى المنشود.

والتطرق إلى وضعية الانتاج العلمي في الحقل السوسيولوجي، يقودنا للحديث عن مدى مساهمة هذا الأخير في فهم الواقع الاجتماعي والانتفاع به في رسم البرامج والسياسات التنموية، إلا أن مؤشرات الواقع تشير إلى عجز البحث الاجتماعي عن تقديم تفسير للعديد من الظواهر المستجدة وكذا تشخيص المشكلات والتحديات التي يواجهها المجتمع. انطلاقا من ذلك، سنحاول في هذه الورقة البحثية، تشريح الوضعية المتردية والمتأزمة للانتاج السوسيولوجي في العالم العربي، وكذا تقديم رؤية مقترحة للنهوض بسوسيولوجيا فعالة تخدم المجتمع.

## أولا - تشخيص الوضع المتردي للإنتاج السوسيولوجي في العالم العربي:

تعد مسألة الانتاج السوسيولوجي من المسائل التي تحتاج إلى اهتمام خاص، فمن منظور نظرية الأنساق العامة، يعتبر الانتاج السوسيولوجي من أهم مخرجات النظام الجامعي في هذا الحقل العلمي، وهو بذلك يشكل مؤشرا لقياس فعالية وكفاءة المنظومة الجامعية في هذا المجال. فضلا عن ذلك فإن مكانة علم الاجتماع وحضوره على المستوى الأكاديمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي مرتبط بنوعية المعرفة المنتجة، ومدى قدرتها على تقديم اضافة حقيقية لفهم الواقع الاجتماعي بتجلياته وتحولاته المختلفة. وفي الوطن العربي يمكننا تشخيص الوضعية المتردية للانتاج السوسيولوجي، من خلال تسليط الضوء على ثلاثة أبعاد رئيسية وهي؛ مواضيع البحث، التناول المنهجي وأخيرا مدى استجابة الانتاج السوسيولوجي للواقع الاجتماعي.

## 1 - موضوعات الأعمال البحثية في الحقل السوسيولوجي:

تعكس موضوعات الأعمال البحثية والدراسات في الحقل السوسيولوجي، مدى استجابة الممارسة السوسيولوجية للواقع الاجتماعي، ومدى مساهمتها في تشخيص المشكلات، وتفسير وفهم مختلف الظواهر المستجدة فيه، وفي هذا السياق تبين المعطيات الواقعية وجود فجوة بين الموضوعات البحثية ومتطلبات الواقع الاجتماعي في الدول العربية، تتجلى في:

- انصراف جزء كبير من دراسات الدكتوراه والماجستير إلى تناول موضوعات بحثية مستهلكة، تمت معالجتها بشكل كاف في الأدبيات الموجودة، ولا يعطي الباحث تبريرا لإخضاعها للاختبار مرة ثانية، مع اهمال الأبعاد الدينامية للواقع الاجتماعي، وكذا المسائل الجوهرية بالنسبة للمجتمع، والتي هي جديرة بالدراسة، بالنظر إلى إمكانية الاعتماد عليها في رسم السياسات وتجاوز المشكلات التي يعاني منها المجتمع. إضافة إلى تناول جزء كبير من دراسات الدكتوراه والماجستير لموضوعات جزئية ومحدودة دون الرجوع إلى سياق البناء الاجتماعي الكلي، وعدم رؤية الجزئيات في إطار المقولات الشاملة. كما نلمس وجود ميل لتناول الموضوعات السهلة والمحدودة من حيث المجال الجغرافي والبشري، حتى في أطروحات الدكتوراه. ولعل أول ما يمكن أن يقال في هذا المجال، أن ما ينجز من أبحاث ودراسات لا يهدف في أغلب الأحيان لتقديم إضافات معرفية تغذي التطور الفكر البشري، وتسعى لتوضيح الرؤى والمقاربات المعنية بجوانب محددة من الواقع الاجتماعي، لأن أصحابها ليسوا معنيين بالبحث عن الحقيقة بكل دلالاتها وأبعادها، بقدر ما هم مثلهفون لتحقيق مآرب فرضت عليهم مثل مناقشة المذكرات والرسائل، الترقيات.. الأمر الذي ينعكس سلبا على نوعية المعرفة المنتجة<sup>1</sup>.
- إن المتفحص للدراسات والأبحاث في الحقل السوسيولوجي في الجامعات الجزائرية بصفة خاصة والجامعات العربية بصفة عامة، يلاحظ أن اختيار المواضيع يشكل إحدى المشكلات التي يعاني منها البحث السوسيولوجي، بسبب تصنيفها إلى حساسة وغير حساسة، ومن شأن هذه الانتقائية تضيق مجال الانتاج السوسيولوجي، وبالتالي إفراغ البحث السوسيولوجي من محتواه الأصيل لكونه علم البحث عن الحقيقة. وفي هذا الاطار يرى الباحث عنصر العياشي: "أن هناك مجالات عديدة في مجتمعنا لا تزال مغلقة أمام البحث الاجتماعي والمعرفة العلمية هذه المجالات تعتبر مقدسة، وينظر إلى البحث فيها بمثابة تدنيس لها، لأنه يكشف فيها مظاهر الخداع والتمويه، والأمثلة في ذلك عديدة منها: قضايا الاختلال في سير النظام الاجتماعي، السلطة وآليات السيطرة التي تمارسها طبقات أو شرائح اجتماعية معينة ومؤسسات الحكم وأجهزتها المختلفة، العلاقات والسلوك الجنسي، وقضايا العقيدة والممارسات الدينية... الخ"<sup>2</sup>.
- تنقسم الدراسات السوسيولوجية في الوطن العربي إلى نوعين؛ دراسات سوسيولوجية ذات طابع نقدي متأثرة بالمدرسة الفرنسية التي تنطلق من نقد الواقع الاجتماعي، وينتشر هذا النوع من الدراسات في الدول التي خضعت للاستعمار الفرنسي كدول المغرب العربي، أما النوع الثاني فيتمثل في دراسات سوسيولوجية ترتكز على تبرير الواقع واضفاء الشرعية عليه وليس نقده، وتنتشر هذه الدراسات في الدول العربية التي تتبع النهج الانجلوسكسوني كدول المشرق العربي، ويعتبر هذا الانقسام أحد أبرز العقبات التي تحول دون بروز علم اجتماع عربي موحد.

## 2 - التناول المنهجي:

إن من أبرز مؤشرات تدني الانتاج السوسولوجي اليوم، هو الابتعاد عن الدقة والصرامة المنهجية في العديد من الدراسات والأبحاث، كما أن أغلب الظواهر المدروسة يتم تناولها بصفة وصفية سطحية دون التغلغل في عمق الظاهرة من الناحية التأويلية والتفسيرية، كما نستشف وجود ارتجالية واندفاع وضيق الرؤية في التحليل والتفسير، لا تجعله يتميز عن التحليل الشعبي. وفي هذا الاطار تقول الباحثة نادية أبو زهرة: "إن أبرز ما يلاحظ على هذه الدراسات هو فقدان الصلة بين التنظير والعمل الميداني، والاهتمام الزائد بالوصف، الذي قد يقدر عليه غير الباحثين، والهروب من التحليل والتفسير".<sup>3</sup>

فضلا عن ذلك تركز البحوث السوسولوجية على ظاهر الأشياء وشكلها دون الاهتمام بمضامينها وجوهرها، مع أن الدور الحقيقي لعلم الاجتماع - حسب بيير بورديو - هو كشف ما هو خفي أي " غير المعن" le non-dit. وفي هذا السياق يؤكد الباحث محمد حافظ دياب في دراسته للخطاب السوسولوجي في الجزائر أنه ما يزال سائدا الاتجاه السوسولوجي القائل إن مهمة السوسولوجيا هي الاقتصاد على دراسة المعطيات الظاهرة والمباشرة، التي تنفادى الموقف الأصعب القائم على اعادة هيكلة الواقع، واستخراج قوانينه ودينامياته عبر تجاوز الظواهر والعلاقات المباشرة، الى البحث عن المحركات والعناصر الفاعلة في آلية حركية البنية الاجتماعية - الاقتصادية<sup>4</sup>. وهو ما أكده الباحثان محمد المهدي بن عيسى وبودبزة ناصر، من خلال النتائج التي توصلوا لها عند قيامهما بدراسة تقييمية لعدد من رسائل الماجستير المناقشة في الجامعات الجزائرية وأهمها<sup>5</sup>:

1. إن اغلب البحوث الأكاديمية محل الدراسة لم تنطلق من مقارنة نظرية واضحة وواعية في بناء الموضوع، وإذا كانت الإشارة شكلية من خلال التعريف بالمقارنة وذكر أهم روادها، دون الأخذ بالتصورات المنهجية للمقارنة نفسها، وهذا ما أدى إلى عدم توفيق الباحثين في اختيار المنهج والأدوات المستخدمة لجمع البيانات .

2. إن الاستخدام المفرط للاستبيان أو الاستمارة والتركيز على الإحصائيات الكمية واستبعاد البحوث الكيفية وأدواتها، يبين جليا أن هذه البحوث رجعت بنا إلى التحليل الوظيفي الكمي، والتي ضيعت التحليل السوسولوجي التي أنتت به المدرسة الدوركايمية، والتي لخصت الدراسات في علم الاجتماع في جداول ونسب إحصائية، أفرغتها من معانيها ومدلولاتها السوسولوجية، وأصبح التكميم الإحصائي من أجل التكميم، وليس من أجل البحث على العلاقة السببية الوظيفية بين الظاهرة ومكوناتها كما هو الحال في النظرية الدوركايمية على الأقل.

3. الاستخدام غير المركز للمقابلة والملاحظة، والذي لا تحكمه الضوابط المنهجية والتقنية المطلوبة علميا وابستيمولوجيا في تكوين الأداة العلمية، والاكتفاء بالإشارة إليهما وتعريفهما، في أغلب الحالات المدروسة.

4. الخلط بين مفهوم التحليل السوسيولوجي الكمي، و بين استخدام الأساليب والمنطق الإحصائي، الذي يبقى غير سوسيولوجي، وعدم قدرة الباحث في استعمال هذه الأساليب.

### ثانيا - الإنتاج السوسيولوجي ومدى استجابته للواقع الاجتماعي:

تشير مؤشرات الواقع في الوطن العربي، إلى عجز البحث الاجتماعي عن تقديم تفسير للعديد من الظواهر المستجدة في المجتمع، وقليلة هي تلك المحاولات التي تهدف إلى "فهم الظروف الجديدة التي أوجدها التقدم العلمي والتقني وفهم التحديات الناشئة عنه، من أجل الاستجابة الرشيدة إليها"<sup>6</sup>. و في هذا الصدد يمكن القول، أن الوضع في المجتمعات العربية لا يختلف كثيرا عن حال الجزائر، أين بقيت السوسيولوجيا بعيدة عن واقع البيئة الاجتماعية، ولم يكن هناك تجاوب مع المشكلات التي كانت تعيشها البلاد كالبطالة والفقر، ومشكل التنمية، ومشكل الحريات وغيرها من القضايا، وكان علم الاجتماع حكرا على الحقل البيداغوجي، لأن الدولة تبنت حركة تنمية في منتصف الثمانينات معتمدة على التصنيع وبناء تكنولوجيا، ومن أجل إحداث تغيير ووثبة اقتصادية في البلاد، لذلك كان الاهتمام بالعلوم التكنولوجية في المقابل بقت العلوم الاجتماعية والإنسانية كمراتب سلبي، للإختلالات الناتجة عن زيادة الاهتمام بالتكنولوجيا، ومن أهم أسباب نقص الاهتمام بميدان العلوم الاجتماعية وعلى رأسها علم الاجتماع نذكر منها<sup>7</sup>:

- اتهام السوسيولوجيين بعدم قدرتهم على الاشتغال على مشكلات المجتمع.
- محاكاة حلول المشكلات الغربية بالرغم من اختلاف البيئات الاجتماعية.
- الجهل بواقع المجتمعات من قبل المشتغلين بالسوسيولوجيا والاعتراب عن هذه المجتمعات.
- تكريس اللامساواة بين العلوم.
- إهمال الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية.

ويعرف الانتاج السوسيولوجي في الوطن العربي ترديا وتراجعا محيرا، فبالأسف القريب كانت الساحة السوسيولوجية العربية تزخر بأسماء بارزة ولامعة، كانت لها اسهامات متميزة ومشرقة في الحقل السوسيولوجي، ومعترف بها على المستوى العالمي. والآن وفي ظل ثورة تكنولوجيات الاعلام والاتصال، وما توفره من فرص التواصل، وما تمنحه من رصيد معرفي قد يعوض النقص في الكتب والمراجع، وبالرغم من ارتفاع عدد أقسام علم الاجتماع، إلا إن في المقابل الاسهامات الجادة والأعمال المتميزة، خاصة على مستوى التنظير قليلة جدا. وكنتيجة لذلك فإن أغلب الدراسات والأعمال البحثية والرسائل والأطروحات مصيرها رفوف المكتبية كمرجع نظرية فقط، ولا تطبق على أرض الواقع، وهو ما يعطي الانطباع وكأن السوسيولوجيا هي عديمة الفائدة والنفع في مجتمعاتنا<sup>8</sup>. وهذا ما يعكس الفجوة الكبيرة الموجودة بين الممارسة السوسيولوجية ومحيطها الاجتماعي، وعدم ربط البحث العلمي بالتنمية في المجتمع.

ففي الجزائر مثلاً نجد البحوث داخل الحقل السوسيولوجي، هي في الغالب بعيدة عن المشكلات الاجتماعية التي يفرزها الواقع الاجتماعي الجزائري، ولا تستجيب لحاجات المجتمع المحلي. وهذا يؤشر إلى أن هذه الممارسة لم تتوفر بعد على الشروط الاستمولوجية والاجتماعية التي تجعلها تأخذ على عاتقها مشكلات وانشغالات وحاجات ومفرزات الواقع الاجتماعي الذي تتواجد فيه وتتفاعل معه وتسعى لتأويله وتفسيره وفهمه. ويعتبر مردود الممارسة السوسيولوجية في الغالب كمياً فقط، ويتجسد ذلك أساساً في البحوث المنجزة والمذكرات والرسائل التي تدخل ضمن متطلبات نيل درجة علمية معينة ولا تستجيب لحاجات اجتماعية، بالإضافة إلى بعض الكتب التي لا تدخل ضمن الإنتاج العلمي الأصيل بقدر ما هي لتلبية ضرورات أكاديمية أو حتى شخصية في أحيان كثيرة<sup>9</sup>.

وفي هذا الإطار، يرى الباحث عبد الحكيم شباط أن هناك صعوبات حالت دون تأسيس علم اجتماع عربي لخصها فيما يلي<sup>10</sup>:

- عدم امتلاك علم الاجتماع العربي لنظريات علمية اجتماعية عامة واضحة المعالم، يكون لها أنساق معرفية متكاملة، يمكن اختبارها واقعياً، وتكون لها قدرات تفسيرية، وقدرات تنبؤية، كما هو الحال في علم الاجتماع في الغرب، حيث أن معظم الدراسات الاجتماعية العربية تدور في فلك الدراسات الوصفية.
- الفشل في تأسيس منهاج علمي خاص، يمكن تطبيقه في الدراسات الاجتماعية العربية، وبراغي طبيعة الإشكاليات الاجتماعية العربية وخصوصياتها.
- عدم التنسيق بين الدراسات الاجتماعية العربية، وعدم توحيد المفاهيم والمصطلحات، والاستناد إلى مدارس ومرجعيات اجتماعية وافدة من نتاج الشعوب الأخرى، الأمر الذي خلق حالة من الفوضى والتضارب بين المشتغلين في الدراسات الاجتماعية العربية، نتج عنها ضياع الجهود، وخلق حالة هدامة، بدلاً من حالة بناءة.
- إشكالية الإطار المرجعي الفكري الفلسفي للنظرية العلمية، فمعظم المحاولات التي قام بها بعض الباحثين العرب لتأسيس نظريات خاصة بعلم الاجتماع العربي، نراها قد اعتمدت على إطار مرجعي فكري ينتمي للفكر الفلسفي الغربي، أو الفكر الفلسفي اليساري في الفترة السوفياتية، أو وضعت في إطار تصور الباحث لما ينبغي أن يكون عليه الإطار الفكري الفلسفي العربي، وليس في ضوء ما هو عليه واقع هذا الفكر الحالي، وذلك دون مراعاة خصوصية أن تؤسس النظرية الاجتماعية في إطار مرجعية فلسفية تنتمي للمجتمع الذي يجب أن تعمل به هذه النظرية .
- التركيز على الجوانب النظرية والتنظيرية في البحث الاجتماعي، وعدم القدرة أو الجدية في المضي قدماً لاختبار واقعية البحث، وصدق افتراضاته من الناحية العملية، والكتابة والتأليف والترجمة بغاية

التدريس الأكاديمي الصرف، ولغايات أيديولوجية، وتنقيفية، بدلاً من الاهتمام بتحقيق الأهداف العامة للبحث السوسولوجي.

- إشكالية التعميمية، والتجزئية، كصفة ملازمة لمعظم الأبحاث السوسولوجية العربية، فإما أبحاث عامة سطحية تلامس الموضوعات المعالجة من الخارج دون الغوص إلى أعماق المشكلة لتحليلها وفهمها جيداً، أو بالمقابل أبحاث تركز على مشكلات جزئية، ذات طابع أمبريقي، دون مراعاة ضرورة فهم الإطار النظري العام الذي يجب أن تعالج به هذه المشكلات، فنجد هنا نزعة ذات صبغة تبسيطية تميل للتطرف في التجزئية والتخصصية .

### ثانياً - مكانة علم الاجتماع في الوطن العربي: الجزائر نموذجاً

تتحدد مكانة علم الاجتماع في المجتمع من خلال نظرة المجتمع إلى هذا العلم، وكذا الحضور الفعلي للمشتغلين به كنخبة مؤثرة وفاعلة في المجتمع.

#### 1- نظرة المجتمع لعلم الاجتماع:

تنتشر في المجتمع الجزائري على نطاق واسع نظرة سلبية لعلم الاجتماع، حيث ينظر إليه نظرة دونية احتقارية، وعلى أنه علم تافه لا يفيد المجتمع بشيء. وقد تشكلت هذه النظرة نتيجة لعوامل متعددة ومتداخلة. وبالرجوع إلى تاريخ الممارسة السوسولوجية في الجزائر، نجد أن فترة الثمانينات تشكل منعرجاً حاسماً في تاريخ الممارسة السوسولوجية، فبعدما كان هذا العلم علماً تقدماً وثورياً في السبعينات، أصبح مع التوجه الأيديولوجي الليبرالي الذي تبنته السلطة السياسية، علماً منبوذاً فاقداً لكل المكاسب التي تحصل عليها في المرحلة السابقة، إلى درجة أن أصبح المسؤولين ينظرون إلى هذا العلم نظرة عدائية<sup>11</sup>.

فضلاً عن ذلك، هناك أزمة ثقة بين العلوم الاجتماعية وبين المؤسسات الرسمية في البلدان العربية بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة، بعكس ما يحصل في الدول المتقدمة. والجدير ملاحظته أن سبب حذر القائمين على الأمور السياسية، قد يعود إلى عدم اكتشافهم لأهمية الدراسات والبحوث الاجتماعية في ميدان التخطيط الاجتماعي ودراسات الرأي وأساليب التوقع والتنبؤ، وجهلهم بالمقومات الحقيقية لعلم الاجتماع<sup>12</sup>. كما يمكن تفسير تدهور مكانة علم الاجتماع في المجتمع الجزائري، بإنحسار القيم المشجعة على العلم بصفة عامة - والذي لم يعد هو الطريق لتحقيق التطلعات - إضافة إلى غياب معايير تثنى الإمتياز والأداء والفعالية والكفاءة.

**2 - أوضاع علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية:** من أجل تشكيل صورة واضحة حول أوضاع علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية، سنعتمد في ذلك على المؤشرات التالية:

### 1.2 - تموقع علم الاجتماع في الجامعة:

يصنف تخصص علم الاجتماع في المؤسسات الجامعية الجزائرية في ذيل قائمة التخصصات العلمية، فمن ناحية التوجيه يوجه إلى تخصص علم الاجتماع الطلبة الذين لم تؤهلهم معدلاتهم الضعيفة للتسجيل في تخصصات أخرى، من جهة أخرى تعاني أقسام علم الاجتماع في العديد من الجامعات من نقص في الوسائل والامكانيات المادية، مقارنة بالتخصصات التقنية والتكنولوجية، وهو ما يعكس حالة التهميش والاقصاء.

وتجدر الإشارة إلى أن الفتح المكثف لأقسام العلوم الاجتماعية خصوصا والانسانية عموما في السنوات الأخيرة عبر الجامعات الجزائرية- مقارنة بالعلوم التكنولوجية والطبية- لا تعكس الاهتمام الذي تحظى به هذه التخصصات من طرف المسؤولين وأصحاب القرار، بقدر ما يشكل ذلك وسيلة لاستيعاب تدفق بشري ناتج عن إرتفاع أعداد الطلبة. فوتيرة تزايد أعداد الطلبة إرتفعت في السنوات الأخيرة، حيث تشير الإحصائيات الرسمية إلى أن المعدل السنوي لزيادة أعداد الطلبة وصل إلى 10.24% سنويا في الفترة الممتدة من 1998 إلى 2006، وهي نسبة مرتفعة نوعا ما<sup>13</sup>. ويشكل فتح أقسام في تخصصات العلوم الانسانية، الحل الأسهل والأقل تكلفة، إذ يتطلب فقط توفير أقسام وأساتذة ولا يتطلب مخابر وتجهيزات مكلفة، كما هو الحال في التخصصات التقنية والتكنولوجية والطبية. وتجدر الإشارة إلى أن التوسع في العلوم الاجتماعية والانسانية، يتعارض مع الخطاب السياسي الرسمي المدعم للتوجه العلمي التكنولوجي على حساب تخصص العلوم الإنسانية، وهو ما يظهر جليا في الخريطة الجامعية لسنة 1984 التي ركزت على الإتجاه العلمي والتقني.

### 2.2- أوضاع هيئة التدريس:

إذا ما تأملنا كثير من أقسام علم الاجتماع في جامعاتنا، نلاحظ على الفور شروخا وانقسامات وصراعات، تبطنها الأناية والشلية والجهوية والتوجهات الايديولوجية<sup>14</sup>. فالعديد من الشواهد الواقعية تؤكد على وجود صراعات حادة وانقسامات، وتغلب النزاعات على فرص التعاون والعمل الجماعي في العديد من أقسام علم الاجتماع. كما تشهد الساحة السوسيولوجية صراع بين الوافدين الجدد والفاعلين الأصليين داخل الحقل، حيث يسعى الجيل الأول للتحكم في مواقع السيطرة، وعدم فسخ المجال للطاقت الابداعية الشابة للبروز، بل أكثر من ذلك تكييلها ومحاصرتها بإجراءات بيروقراطية مقبنة، لمنعها من الصعود في المراتب العلمية، بعيدا عن الروح العلمية والموضوعية، كندخل شبكة العلاقات في تقييم الأعمال العلمية وفي النشر واحتكار المعرفة... فهذه الأوضاع تشجع على هيمنة الوصلية والانتهازية وإقصاء الكفاءات.



يضاف إلى ذلك هيمنت الصراعات الأيديولوجية على الساحة السوسيولوجية، مما أدى إلى انعدام التواصل بين الأساتذة ذوي التوجهات الأيديولوجية المتناقضة، فتجمعاتهم تحدها الانتماءات الأيديولوجية، وحتى الإشراف على مذكرات التخرج أصبح خاضعا للقناعات الأيديولوجية، فكل مظاهر العلمية والموضوعية والتبادل الثقافي تلاشت، وهو الأمر الذي يتنافى والتقاليد العلمية والسوسيولوجية<sup>15</sup>. كما توجد عوامل أخرى ساهمت في ضعف التحصيل العلمي وتدني المستوى نذكر منها:

- نمطية التكوين المبينة على التلقين، والتي لا تفتح مجال للإبداع والابتكار الفردي، وهو ما يحول دون إكتساب الطالب لمهارات تسمح له بالتحكم في مجال تخصصه.
  - هجرة الكفاءات وعدم بقائها للمساهمة في التطوير، حيث نجد نسبة عالية من الأساتذة الجامعيين هم من فئة الأساتذة المساعدين.
- 3.2 - أوضاع طلبة التخصص:**

تشهد أقسام علم الاجتماع في الآونة الأخيرة تراجعاً كبيراً في أعداد الملتحقين بها، نتيجة فتح العديد من التخصصات في العلوم الإنسانية عبر مختلف الجامعات، إضافة إلى ذلك أصبح تخصص علم الاجتماع يستقطب الطلبة ضعاف المستوى، الذين لم يسعفهم الحظ في التسجيل في تخصصات أخرى أو وجهوا إليه نتيجة فشلهم ورسوبهم المتكرر في تخصصاتهم الأصلية. كما يشهد هذا التخصص تهافت عدد كبير من الموظفين للتسجيل فيه للحصول على شهادة تساعدهم على الارتقاء المهني، خاصة مع صدور قانون الوظيف العمومي الجديد الذي يثمن الترقية على أساس الشهادة. فضلا عن ذلك تسود في صفوف طلبة علم الاجتماع حالة إحباط وياس تترجم في مظاهر اللامبالاة وغياب المثابرة والجدية والمواظبة - مقارنة بتخصصات الطب والعلوم الدقيقة - ويعود ذلك أساساً إلى كون شهادات علم الاجتماع لا تؤهل خريجيه إلى الحصول على وظائف، وهو ما ينعكس سلباً على مستوى التحصيل العلمي. وانطلاقاً من ذلك يرى العديد من الباحثين أن المتلقين لهذا العلم هم سبب أزمة علم الاجتماع لكونهم وجهوا لهذا التخصص نتيجة معدلاتهم الضعيفة، يضاف إلى ذلك ضعف المستوى الناتج عن ضعف وهشاشة المنظومة التربوية الجزائرية، وهو أمر مطروح في جميع التخصصات في الجامعة، فكثيرين هم الطلبة الذين لا يتحكمون في اللغة وليس لديهم القدرة على توظيف المكتسبات المعرفية في التحليل والتأويل، وانجاز البحوث العلمية.

### 3 - غياب الدور الجاد للمشتغلين في الحقل السوسيولوجي كخبرة في المجتمع:

تعد مسألة الحضور الفعلي والمؤثر للنخب من الإشكاليات التي تطرح نفسها بقوة في المجتمع الجزائري. وهو ما ينطبق على المشتغلين في الحقل السوسيولوجي، فإنطلاقاً من دور النخب والمتمثل في الإنتاج الفكري والقدرة على التأثير والتغيير والتميز الإيجابي، يمكن القول أن هذا الدور منعدماً في المجتمع الجزائري. بل أكثر من ذلك يشهد المجال العام (الفضاء العمومي) في المجتمع الجزائري غياب تام للنخب، الأمر الذي ترك الفرصة للوصوليين وللرداءة لسد هذا الفراغ.

كما أن حضور المختصين في علم الاجتماع على مستوى وسائل الاعلام لتقديم تحاليل حول قضايا معينة، هو حضور غير مشرف في غالب الأحيان، حيث نلمس ارتجالية ورؤية ضيقة في التحليل. لا تختلف عن تحليل غير المختصين، وفي بعض الأحيان ينسبون وجهة نظرهم الشخصية في موضوع ما لهذا العلم، وهو ما يساهم في نشر صورة مشوهة على علم الاجتماع في الأوساط الاجتماعية.

### ثالثا - رؤية مقترحة للنهوض بسوسيولوجيا فعالة تخدم المجتمع:

من خلال ما تقدم يتجلى لنا بوضوح أن هناك عوائق كثيرة ومتداخلة تحول دون المساهمة الفعالة للسوسيولوجيا في المسيرة التنموية في المجتمع. ولا يمكن تجاوز هذه الوضعية المتأزمة، إلا من خلال توفير فضاء مناسب وإيجابي، يسمح ببروز النخب القادرة على العطاء وانتاج المعرفة وتوظيفها لخدمة التنمية في المجتمع، ومن أجل النهوض بالبحث السوسيولوجي وتفعيل دوره في العملية التنموية في البلدان العربية، نقترح:

- الاسراع في اصلاح المنظومات الجامعية وإيجاد الآليات الكفيلة لإنتفاح الجامعة على محيطها واسترجاعها لمكانتها ودورها القيادي في المجتمع، والاهتمام بالكيف وليس بالكم.
- إعادة النظر في مضمون برامج علم الاجتماع، حتى تواكب التغيرات الحادثة على مستوى البناء السوسيو ثقافي للمجتمع العربي، وتكييفها بما يتوقف وإحتياجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- التكفل بالأساتذة وتخفيف الأعباء المهنية من أجل التفرغ للبحث والانتاج العلمي، والمشاركة بفعالية في خدمة المجتمع وقضايا التنمية.
- انشاء مدارس عليا وأقطاب للبحث العلمي في مجال علم الاجتماع، حتى تشكل فضاء لبروز علم اجتماع أصيل يساهم في البناء الحضاري للمجتمع، كما يمكن أن تكون فضاء لالتقاء الكفاءات والعقول المبدعة في هذا المجال.
- تشجيع البحث العلمي، وتمتين الفعالية والابداع، وتوفير جو يساعد على بروز الكفاءات والطاقات الابداعية.
- تشجيع وتمويل النشاطات والاعمال المتعلقة بالترجمة المتخصصة، وهذا لمواكبة مستجدات البحث السوسيولوجي على المستوى الدولي، واثراء المكتبة العربية بكتب ومراجع تتضمن دراسات وأبحاث جديدة.
- انشاء مراكز متخصصة على المستوى العربي، تشكل لبنة لبناء علم اجتماع عربي متميز يخدم مصالح المجتمعات العربية ويستجيب لمتطلبات وحاجيات الواقع العربي.

ومن أجل اعطاء الممارسة السوسيولوجية المكانة التي تستحقها في الفضاء الأكاديمي العربي، يرى عبد الباسط عبد المعطي أن تحرير علم الاجتماع في الوطن العربي يقتضي السير في خطوات يمكن أن

تضاف إليها أخريات منها<sup>16</sup>:

- التحليل النقدي للتراث العالمي في علم الاجتماع، والتحليل النقدي للتراث العربي الاجتماعي.
- وإجراء دراسات مسحية تاريخية ومعاصرة في ضوء التوجه المقترح تكون غاياتها تحقيق التنمية الشاملة على أن يكون تركيزها الأساسي على عناصر هامة في الفهم والتفسير وصناعة التغيير متمثلة في دراسة التمايزات الاجتماعية، و بناء القوة والثقافة القومية والعلاقة بالنظام الاقتصادي العالمي وغيرها من الأهداف المستقبلية.
- التنسيق بين البحوث السوسيولوجية القطرية والقومية، وهذا لن يكون دون معهد عربي متخصص، فمعظم الإنجازات السوسيولوجية العربية الجادة ت حتى الآن تمت بجهود فردية.
- ضرورة إعادة النظر في مقررات تدريس علم الاجتماع في الجامعات العربية بما يؤهل الدارسين لها فكرا وتدريبيا وممارسة.

### خاتمة:

بالرغم من الدور الفعال الذي يمكن لعلم الاجتماع أن يلعبه في انجاح العملية التنموية في الوطن العربي، وبالتالي الخروج من دائرة التخلف وتحقيق الإقلاع الحضاري، إلا أن هذا العلم بقي مهمشا ولم ينل الاهتمام الاجتماعي والسياسي الكافي، فمن خلال ما تقدم يتجلى لنا بوضوح أن هناك عوائق كثيرة ومتداخلة تحول دون المساهمة الفعالة للسوسيولوجيا في المسيرة التنموية في المجتمع، فالدراسات السوسيولوجية في الوطن العربي لا تستجيب في الغالب للمشكلات الاجتماعية التي يفرزها الواقع الاجتماعي العربي، إضافة إلى عدم وضوح أهداف الممارسة السوسيولوجية. ولا يمكن تجاوز هذه الوضعية المتأزمة، إلا من خلال توفر فضاء مناسب وإيجابي، يسمح ب بروز النخب القادرة على العطاء وانتاج المعرفة وتوظيفها لخدمة التنمية في المجتمع، وقد حان الوقت لتدارك هذا الوضع والنهوض بالممارسة السوسيولوجية في الوطن العربي، والدور الأكبر في ذلك يعود لأهل الاختصاص، من خلال التعاون الجاد وتوفير مناخ علمي يشجع على الابداع وانتاج المعرفة، ويثمن التميز الايجابي، بعيدا عن الممارسات التي تشجع على تكريس الرداءة والوصولية.

## الهوامش

- (1) إسماعيل قيرة(2007). الميكافيلية وطقوس المرور. مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، - جامعة 20 أوت 1955 بسكيكدة. (01). 24.
- (2) العياشي عنصر(1999). سوسيولوجيا الأزمة الراهنة في الجزائر"في كتاب الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية". مركز دراسات الوحدة العربية بيروت. 284.
- (3) عبد الباسط عبد المعطي(1981). إتجاهات نظرية في علم الاجتماع. عالم المعرفة -المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت. (44). 189.
- (4) محمد حافظ دياب(1990). علم الاجتماع في الجزائر " الهوية والسؤال". مجلة المستقبل العربي - مركز دراسات الوحدة العربية بيروت. (134). 94.
- (5) محمد المهدي بن عيسى، ناصر بودبزة(2013)، الممارسة السوسيولوجية في الجزائر"بين سوسيولوجيا التفسير وسوسيولوجيا الفهم. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية -كلية الآداب والعلوم الاجتماعية لجامعة سعد دحلب بالبلدية. (09). 28-35.
- (6) Toumi Riad(2007). Le métier de sociologue en Algérie "une approche vu du terrain. Revue recherche et étude en sciences humaines. (01). 80.
- (7) محمد المهدي بن عيسى، ناصر بودبزة ، مرجع سبق ذكره. 25-26.
- (8) عبد الكريم بكار(2000). تجديد الوعي. دار القلم بدمشق. 5.
- (9) أحمد دنافة، جمال بليكي(2013). مدى تجاوب البحوث السوسيولوجية مع المشكلات الاجتماعية التي يفرزها الواقع الاجتماعي الجزائري "دراسة ميدانية بثلاث جامعات جزائرية. مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية" مركز جيل للبحث العلمي. (01). 76-78.
- (10) عبد الحكيم شباط. هل يوجد علم اجتماع عربي؟. على الموقع:  
<https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady-amte/hl-y-wjd-lm-ajtma-rby>
- (11) وسيلة يعيش(2010). الممارسة السوسيولوجية في الجزائر " مقارنة سوسيو معرفية". مجلة الباحث - يصدرها قسم علم الاجتماع بجامعة منتوري بقسنطينة. (10). 313.
- (12) عبد الباسط عبد المعطي. مرجع سبق ذكره. 63.
- (13) CNES(2008). Rapport national sur le développement humain en Algérie. 31.
- (14) إسماعيل قيرة. مرجع سبق ذكره. 17.
- (15) وسيلة يعيش. مرجع سبق ذكره. 315.
- (16) عبد الباسط عبد المعطي. مرجع سبق ذكره. 201.